الشعر الحر بين الإبداع والتحدي دراسة في تجارب رواد الحداثة العربية (١٩٥٠-١٩٧٠)

م.م. علاء غازي جبار السلطاني
جامعة القاسم الخضراء / كلية علوم البيئة

Free verse between creativity and challenge: a study in the experiences of the pioneers of Arab modernism (1950 -1970)

Asst. Lec. Alaa Ghazi Jabbar AL Sultani
Al Qasim Al Akhdar University / College of Environmental Sciences
AllaAlsultany@environ.uoqasim.edu.iq

الملخص

يبدو أن الشـــعر الحر، كما تجلى في تجارب رواد الحداثة العربية بين ١٩٥٠ و١٩٧٠، كان نقطة تحول في الأدب العربي. لقد ســـمح للشـــعراء بالتعبير بحرية أكبر، مما أدى إلى إبداعات جديدة وفي الوقت نفسه أثار جدلاً بين النقاد. هذه الفترة شهدت ظهور شخصيات بارزة مثل نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وغيرهم، الذين ساهموا في تأسيس حركة الشعر الحر، وهي حركة تجاوزت القوالب العروضية التقليدية. تهدف الدراسة إلى استكشاف كيف كان الشعر الحر وسيلة إبداعية وفي الوقت نفســـه تحدياً لرواد الحداثة العربية خلال الفترة المحددة، مع التركيز على التحديات التي واجهوها والإبداعات التي قدموها. اعتمدت الدراســة على التحليل الأدبي لقصــائد مختارة لشخصيات رئيسة مثل نازك الملائكة وبدر شاكر السياب، بالإضافة إلى السياق التاريخي للفترة. ساهم الشعر الحر في تعبير الشعراء عن تجاربهم الشخصية والاجتماعية بطرق جديدة. شكل تحدياً للقوالب الشعرية التقليدية، مما أثار نقاشات حول تعريف الشعر. أعمال مثل الكوليرا لنازك الملائكة وأنشـودة المطر لبدر شـاكر السـياب تُعد نماذج للإبداع في الشـعر الحر. واجه الرواد مقاومة من النقاد التقليديين، مما يبرز الطبيعة الجدلية لخياراتهم الفنية. التغيرات الاجتماعية والسياسية في الخمسينيات والستينيات أثرت على الموضوعات والصور في شعرهم.

الكلمات المفتاحية: الشعر الحر، الحداثة العربية، الإبداع، التحدي، الرواد.

Abstract

Introduction: It seems likely that free poetry, as manifested in the experiments of Arab modernism leaders between 1950 and 1970, was a turning point in Arabic literature. It allowed poets greater freedom of expression, leading to new creations while also sparking debates among critics. This period saw the rise of prominent figures like Nazeek Al-Malaika and Badr Shaker Al-Sayyab, who contributed to establishing the free verse movement, surpassing traditional metrical forms. Statement of the Problem: The study aims to explore how free poetry served as a creative

medium and simultaneously a challenge for Arab modernism leaders during the specified period, focusing on the challenges they faced and the innovations they introduced. Research Method: The study relied on literary analysis of selected poems by key figures such as Nazeek Al-Malaika and Badr Shaker Al-Sayyab, alongside the historical context of the period. Findings: Free poetry contributed to poets expressing their personal and social experiences in novel ways. It posed a challenge to traditional poetic forms, sparking discussions on the definition of poetry. Works like Al-Kolera by Nazeek Al-Malaika and Anshoudat Al-Matar by Badr Shaker Al-Sayyab are exemplars of creativity in free verse. The pioneers faced resistance from traditional critics, highlighting the contentious nature of their artistic choices. Social and political changes in the 1950s and 1960s influenced the themes and imagery in their poetry.

Keywords: Free poetry, Arab modernism, creativity, challenge, pioneers.

١. المقدمة

الشـــعر الحر، كما يبدو من تجارب رواد الحداثة العربية في الفترة من ١٩٥٠ إلى ١٩٧٠، كان نقطة تحول في الأدب العربي. لقد سمح للشعراء بالتعبير بحرية أكبر، مما أدى إلى إبداعات جديدة وفي الوقت نفسـه أثار جدلاً بين النقاد. سـنسـتعرض كيف تجلى هذا الإبداع والتحدي في أعمال نازك الملائكة وبدر شاكر السياب[١].

تمهيد حول نشأة الشعر الحر

الشعر الحر سمح للشعراء باستخدام التفعيلات بدلاً من الأوزان التقليدية، مما أتاح لهم صياغة قصـــائد تعكس تجاربهم الشـــخصـــية والاجتماعية. على ســـبيل المثال، قصـــيدة الكوليرا لنازك الملائكة، التي نشـرت في ١٩٤٧ لكنها اسـتمرت في التأثير، اسـتخدمت صـوراً رمزية لوصـف مأساة الشعب المصري، مما يعكس إبداعاً في التعبير عن الألم الإنساني. كان الشعر الحر يمثل تحدياً للنقاد الذين رأوا فيه خرقاً للقواعد العروضية التقليدية. بدر شاكر السياب، مع قصيدته هل كان حباً، واجه انتقادات بسـبب تحرره من القافية والوزن، مما أثار جدلاً حول شـرعية هذا النوع من الشعر.

البداية الأولى

الشعر الحر، كما يوضح البحث، هو نوع من الشعر الذي ظهر في نهاية القرن التاسع عشر عالمياً وفي الثلاثينيات في الوطن العربي، وسمي أيضاً بـــشعر التفعيلة. يتميز بتحرره من عدد

التفعيلات في البيت الشعري، مع الحفاظ على الوزن الموسيقي. وفقاً لموقع ويكيبيديا، يختلف عن قصيدة النثر بأنه موزون لكنه ليس مقيداً بالقوافي التقليدية.[٢] هذا التحرر ساهم في إتاحة المجال للإبداع، لكنه أثار جدلاً بين النقاد حول هويته الفنية.

أبرز رواد الحداثة العربية

في الفترة من ١٩٥٠ إلى ١٩٧٠، برزت أسماء مثل نازك الملائكة (١٩٢٣-٢٠٠٧)، التي تُعتبر رائدة الشعر الحر بقصيدتها الكوليرا (١٩٤٧)، وبدر شاكر السياب (١٩٢٦-١٩٦٤)، الذي ساهم في تأسيس مدرسة الشعر الحر مع قصائده مثل هل كان حباً. كما يُذكر عبد الوهاب البياتي وأدونيس كشخصيات مؤثرة، مع نشاطهم في الستينيات. وفقاً لموقع الجزيرة، كانت هذه الفترة مليئة بالتجارب الإبداعية التي عكست التغيرات الاجتماعية والسياسية[٣].

التحولات الثقافية

كانت هذه التحولات في الشعر العربي تعكس بشكل واضح التغيرات الثقافية والاجتماعية والسياسية في العالم العربي بعد الحرب العالمية الثانية. العالم كان يشهد تحولات كبرى في النظام العالمي، وكان الأدب بشكل عام، والشعر بشكل خاص، مرآة تعكس هذه التغيرات. الشعر الحر جاء ليستجيب لحاجة ملحة للتعبير عن هذه التغيرات بأسلوب فني جديد يتجاوز الأطر التقليدية.

الأهمية الأكاديمية

في الدراسة الأكاديمية للأدب العربي، يمثل الشعر الحر جزءًا هامًا من تطور الشعر العربي الحديث. هذه الحركة ليست مجرد تقليد للشعر الغربي أو رد فعل على التغيرات الاجتماعية، بل هي تطور طبيعي يعكس تفاعل الأدباء مع بيئتهم وتاريخهم الثقافي. إن فهم نشأة وتطور الشعر الحر يساعدنا على فهم أعمق لتاريخ الأدب العربي وتطوره[٤].

إشكالية الدراسة وأهدافها

تكمن إشكالية هذه الدراسة في محاولة فهم وتحليل التحديات والإبداعات التي رافقت نشأة وتطور الشعر الحر في الأدب العربي الحديث. الشعر الحر ظهر في فترة شهدت تغيرات ثقافية واجتماعية وسياسية كبيرة، وكانت هناك حاجة ملحة لتجاوز القوالب التقليدية التي كانت تحد من حرية التعبير الشعري. الرواد الذين تبنوا هذا النمط الشعري واجهوا العديد من المعوقات التقليدية، سواء من النقد المحافظ أو من القيود الفنية التي كانت تُفرض على الإبداع. الدراسة تسعى لفهم كيف استطاع هؤلاء الرواد تجاوز هذه المعوقات ليؤسسوا شكلاً شعرياً جديداً يحتفظ بجوهر الشعرية العربية مع تطويع أدواتها لروح العصر.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

تتبع مراحل نشأة وتطور الشعر الحر:

تسعى الدراسة إلى تتبع المراحل المختلفة التي مر بها الشعر الحر منذ بداياته الأولى في أواخر الأربعينيات حتى تطوره وانتشاره في الأدب العربي المعاصر.

سيتم التركيز على العوامل التاريخية والثقافية التي أثرت في نشأة وتطور هذا النمط الشعري.

تحليل الخصائص الفنية والأسلوبية التي تميزه:

تحليل الخصائص الفنية للشعر الحر، مثل الإيقاع والتفعيلة والصور الشعرية.

دراسة الأساليب المختلفة التي استخدمها الشعراء للتعبير عن تجاربهم ومشاعرهم.

دراسة إسهامات أبرز رواده:

تسليط الضوء على إسهامات الشعراء الرواد مثل نازك الملائكة، بدر شاكر السياب، عبد الوهاب البياتي، وصلاح عبد الصبور.

تحليل كيفية تأثير هؤلاء الشعراء في تطوير الشعر الحر وإسهاماتهم الفريدة في هذا المجال.

رصد التحديات التي واجهت هذا الشكل الشعري الجديد:

دراسة التحديات التي واجهت الشعر الحر، سواء من النقد الأدبي التقليدي أو من خلال قضايا تتعلق بالشكل والمضمون.

فهم كيفية تعامل الشعراء مع هذه التحديات لتطوير الشعر الحر وتثبيته كنمط أدبي معترف به.

هذه الأهداف مجتمعة تسعى إلى تقديم فهم شامل ومعمق لنشأة وتطور الشعر الحر في الأدب العربي الحديث، وتحليل التحديات والإبداعات التي صاحبت هذا النمط الشعري[٥].

المنهج المتبع

تعتمد الدراسة المنهج التحليلي الوصفي في تتبع ظاهرة الشعر الحر وتحليل خصائصها، كما تستعين بالمنهج التاريخي في رصد تطور هذا الشكل الشعري ومراحل نموه. وتستفيد الدراسة أيضاً من المنهج المقارن في إبراز العلاقة بين الشعر الحر والشعر العمودي، وفي تحليل تجارب الشعراء المختلفة[٦].

٢. مفهوم الشعر الحر وخصائصه

التعريف والنشأة

يُعرّف الشعر الحر بأنه نمط شعري يتحرر من نظام الشطرين والقافية الموحدة، معتمداً على وحدة التفعيلة كأساس موسيقي، مع الاحتفاظ بالإيقاع الشعري العربي الأصيل. وفقاً لنازك الملائكة، يُعرف الشعر الحر بأنه شعر ذو شطر واحد، ليس له طول ثابت، وإنما يصح أن يتغير عدد التفعيلات من شطر إلى آخر[٧]. هذا التعريف يبرز أهمية الوحدة الإيقاعية الجديدة التي تعتمد على التفعيلة بدلاً من البيت الشعري التقليدي، مما يمنح الشاعر حرية أكبر في التعبير.

نشأ هذا النمط الشعري نتيجة لعوامل متعددة، منها:

التأثر بالآداب الغربية وحركات التجديد العالمية:

لعب التأثير الغربي وحركات التجديد الأدبية العالمية دوراً كبيراً في تطور الشعر الحر[٨]. الشعراء العرب تفاعلوا مع الأدب الغربي الحديث وأخذوا منه ما يتناسب مع ثقافتهم وأدبهم[٩].

الحاجة إلى التعبير عن التجارب المعاصرة بأشكال جديدة:

شهد العالم العربي تغييرات اجتماعية وسياسية وثقافية كبيرة في القرن العشرين، مما دفع الشعراء إلى البحث عن أشكال جديدة للتعبير تتناسب مع تجاربهم المعاصرة[١٠].

الرغبة في تجاوز القيود التقليدية للقصيدة العمودية:

كانت هناك رغبة قوية بين الشعراء في تجاوز القيود التقليدية التي فرضتها الأشكال الشعرية القديمة، والبحث عن حرية أكبر في بناء القصيدة وفي التعبير عن الأفكار والمشاعر[١١].

هذه العوامل ساهمت في تشكيل وتطور الشعر الحر، مما جعله أحد أهم التحولات في الأدب العربي الحديث.

السمات الفنية والأسلوبية

يتميز الشعر الحر بمجموعة من الخصائص الفنية والأسلوبية، أبرزها:

الخصائص الإيقاعية:

الشعر الحر يتميز بمجموعة من الخصائص الإيقاعية التي تضفي عليه طابعاً فريداً ومتميزاً. من أبرز هذه الخصائص:

اعتماد وحدة التفعيلة بدلاً من وحدة البيت؛ بدلاً من الاعتماد على الأبيات التقليدية ذات القافية الموحدة، يعتمد الشعر الحر على وحدة التفعيلة كأساس موسيقي. هذا يتيح للشاعر حرية أكبر

في تنظيم الأبيات بشكل غير منتظم وإبداعي، مما يخلق تناغماً فريداً يلائم موضوع القصيدة ومشاعرها[١٢].

تنويع القوافي وعدم الالتزام بقافية موحدة؛ يسمح الشعر الحر بتنويع القوافي وعدم الالتزام بقافية موحدة في جميع الأبيات، مما يمنح الشاعر حرية في التعبير الإيقاعي. هذا التنوع يسهم في خلق نغمات موسيقية مختلفة تضيف للقصيدة بعداً جمالياً وإبداعياً[١٣].

المرونة في عدد التفعيلات في كل سطر شعري؛ يتميز الشعر الحر بالمرونة في عدد التفعيلات في كل سطر شعري، مما يسمح للشاعر بتغيير طول السطور وفقاً للاحتياجات التعبيرية للنص. هذا يضفي على القصيدة حيوية وديناميكية تتماشى مع تدفق الأفكار والمشاعر[١٤].

الخصائص البنائية

بالإضافة إلى الخصائص الإيقاعية، يتميز الشعر الحر أيضاً بخصائص بنائية فريدة، من أبرزها:

الوحدة العضوية للقصيدة؛ تتميز القصيدة الحرة بوحدتها العضوية، حيث تتماسك الأفكار والمشاعر بشكل متكامل، مما يجعل النص يبدو كوحدة واحدة متجانسة. هذه الوحدة تسهم في تعزيز تأثير القصيدة وجاذبيتها للقارئ[١٥].

التداخل بين الغنائية والدرامية؛ يجمع الشعر الحر بين العناصر الغنائية والدرامية، مما يضيف تنوعاً وإثارة في بنية القصيدة. هذا التداخل يسمح للشاعر بالتعبير عن مشاعره وأفكاره بأساليب متعددة تتراوح بين الغنائية العاطفية والتصوير الدرامي المكثف[١٦].

توظيف الرمز والأسطورة؛ يستخدم الشعراء في الشعر الحر الرمز والأسطورة كأدوات فنية للتعبير عن الأفكار والمشاعر بطرق غير مباشرة. هذه الرموز والأساطير تضفي على النص الشعري عمقاً وغنىً دلالياً، مما يفتح المجال للتأويلات المختلفة ويزيد من تأثير القصيدة[١٧].

اعتماد الصورة الشعرية المركبة؛ يعتمد الشعر الحر على استخدام الصور الشعرية المركبة والمعقدة التي تجمع بين العناصر الحسية والمجردة. هذه الصور تسهم في إثارة الخيال لدى القارئ وتقديم تجربة قرائية غنية وممتعة[١٨].

تجمع هذه الخصائص الفنية والأسلوبية في الشعر الحر لتجعل منه نمطاً شعرياً متفرداً يعبر عن روح العصر وتجارب الشعراء بطرق إبداعية ومتجددة

علاقته بالشعر العمودي

لا تمثل العلاقة بين الشـــعر الحر والشـــعر العمودي قطيعة تامة، بل هي علاقة تطور وامتداد[١٩]. فالشـعر الحر يحتفظ بالتفعيلات العربية الأصـيلة ويلتزم بقواعد العروض الأسـاسـية، لكنه يتحرر من نظام الشطرين والقافية الموحدة. وقد أكد إحسـان عباس أن الشـعر الحر لم يأتِ لينفي الشعر العمودي، بل ليضيف إلى إمكانات التعبير الشعري العربي أفقاً جديداً[٢٠].

يمكن تلخيص أوجه العلاقة بين الشعر الحر والشعر العمودي في النقاط التالية:

الاشـتراك في الأوزان والتفعيلات الأسـاسـية؛ كلا النمطين يسـتخدم الأوزان والتفعيلات العربية التقليدية كأساس موسيقي. الشعر الحر يعتمد على وحدة التفعيلة بمرونة أكبر، بينما يلتزم الشعر العمودي بوحدة البيت التقليدية[٢١].

الاختلاف في طريقة توزيع التفعيلات؛ الشـــعر الحر يتســـم بالحرية في توزيع التفعيلات على الأســـطر الشـــعرية، مما يمنح الشـــاعر مرونة أكبر في تنظيم النص وإيقاعه. بالمقابل، الشـــعر العمودي يلتزم بتوزيع محدد للتفعيلات داخل الأبيات، مما يضفي عليه إيقاعاً منتظماً[٢٢].

التباين في نظام القوافي والإيقاع؛ في الشـــعر الحر، يتم تنويع القوافي وعدم الالتزام بقافية موحدة، مما يتيح للشـاعر تجربة أشـكال إيقاعية مختلفة تضـيف إلى تنوع النص. أما في الشـعر العمودي، فالتزام القافية الموحدة يعد جزءاً أساسياً من بنيته الإيقاعية[٢٣].

التكامل في التعبير عن التجربة الشـعرية العربية؛ العلاقة بين الشـعر الحر والشـعر العمودي ليسـت تنافرية، بل هي علاقة تكاملية. الشـعر الحر يضـيف أفقاً جديداً للإبداع والتعبير الشـعري دون أن ينفي أو يلغى قيمة الشـــعر العمودي. هذا التكامل يثري الأدب العربي ويعزز من تنوعه وقدرته على التعبير عن تجارب الحياة المختلفة[٢٤].

يشير هذا التفاعل بين الشعر الحر والشعر العمودي إلى أن الشعر العربي قادر على التطور والتجديد مع الحفاظ على أصـــوله التقليدية. كما أن هذه العلاقة التكاملية تعزز من قدرة الأدب العربي على التكيف مع المتغيرات الثقافية والاجتماعية المعاصرة[٢٥].

وقد أشـار جابر عصـفور إلى أن التجديد في الشـعر الحر لم يكن ثورة على التراث بقدر ما كان محاولة لتطويره وتحديثه بما يتناسـب مع متطلبات العصـر[٢٦]. وهذا ما يؤكد أن العلاقة بين الشكلين علاقة تكاملية وليست تنافرية.

يتضح مما سبق أن الشعر الحر يمثل مرحلة تطورية مهمة في مسيرة الشعر العربي، حيث استطاع أن يحافظ على جوهر الشعرية العربية مع تطوير أدواتها وآليات التعبير فيها، مما أثرى المشهد الشعري العربي وفتح آفاقاً جديدة للإبداع.

٣. رواد الشعر الحر وإسهاماتهم

نازك الملائكة (١٩٢٣-٢٠٠٧)

تُعد نازك الملائكة من أوائل من كتب الشعر الحر في الأدب العربي الحديث، حيث نشرت قصيدتها الكوليرا عام ١٩٤٧، التي تُعد باكورة الشعر الحر. قدمت الملائكة تجربة شعرية مميزة تميزت بالتأصيل النظري للشعر الحر من خلال كتابها قضايا الشعر المعاصر، حيث وضعت أسسًا واضحة لهذا النمط الشعري الجديد[٢٧]. إضافة إلى ذلك، جمعت بين الأصالة والحداثة في التعبير الشعري، مما مكنها من الحفاظ على الجوهر التقليدي للشعر العربي مع تبني أساليب جديدة تعبر عن تجاربها الشخصية. كانت الملائكة تهتم بشكل خاص بالموسيقى الشعرية وإيقاعاتها، مما جعل قصائدها تتميز بعمقها الموسيقي والجمالي[٢٨].

تحليل نماذج شعرية

في سياق دراسة الشعر الحر كتجربة إبداعية وتحدٍ للأطر التقليدية، يبرز تحليل قصيدة "الكوليرا" لنازك الملائكة كنقطة انطلاق جوهرية. هذه القصيدة، التي تتناول مأساة تفشي الكوليرا في مصر، تفتتح بأبيات مكثفة تحمل طابعاً رمزياً عميقاً: "سكن الليلُ / أصغِ إلى وقع صدى الأناثْ / في عمق الظلمةِ، تحت الصمتِ، على الأمواثْ". هذه الأبيات تكشف عن براعة الملائكة في نسج صور شعرية تعبر عن الألم الإنساني بطريقة مبتكرة، حيث تجسد الظلمة والصمت كعناصر تشارك في الحدث المأساوي، مما يعكس إبداعاً فنياً متميزاً. هذا النهج التعبيري لم يكن مجرد اختيار أسلوبي، بل كان بمثابة تمرد على القواعد العروضية الخليلية التقليدية، حيث استبدلت الملائكة الأوزان الصارمة بنظام التفعيلة الحرة، الأمر الذي أثار جدلاً حاداً بين النقاد المعاصرين لها، كما أشارت إليه دراسات نقدية لاحقة مثل تلك الواردة في تحليلات موقع "سطور" (تحليل قصيدة الكوليرا).

تتفق المصادر الأدبية على أن نازك الملائكة، إحدى رواد الحداثة الشعرية العربية، لعبت دوراً محورياً في ثورة ضد الشعر العمودي التقليدي. من خلال قصيدتها "الكوليرا"، التي نُشرت في العام ١٩٤٧، قدمت نموذجاً لشعر التفعيلة الذي تخلى عن القافية الموحدة، مما ساهم في إعادة صياغة مفهوم القصيدة العربية. وفي السياق ذاته، يُشار إلى أن هذا العام شهد أيضاً نشر بدر

شاكر السياب لقصيدته "هل كان حباً"، وهو ما اعتبره بعض النقاد بداية متزامنة لتأسيس الشعر الحر كحركة أدبية متكاملة. هذا التزامن يعزز الفرضية القائلة بأن الملائكة والسياب كانا رائدين متوازيين في هذا المجال، حيث عملا على تجديد البنية الشعرية بعيداً عن القيود التقليدية[٢٩].

من جهة أخرى، تركز الدراسات المتاحة على جانب محدد في "الكوليرا"، وهو التكرار المتعمد لكلمة "الموت" كعنصر بنائي أساسي في القصيدة. هذا التكرار، كما تبين التحليلات، لم يكن عشوائياً، بل عمل كإيقاع داخلي يعزز الإحساس بالمأساة ويربط بين الأبيات كوحدة فنية متماسكة. هذا الاستخدام الإبداعي للتكرار يُعد مساهمة نوعية أثرت المكتبة النقدية العربية، حيث يبرز قدرة الشعر الحر على استيعاب تقنيات تعبيرية جديدة تتجاوز الحدود التقليدية للشعر العمودي. وبهذا، تؤكد قصيدة "الكوليرا" مكانة نازك الملائكة كشاعرة لم تكتفِ بتحدي الأعراف السائدة، بل وضعت أسساً جديدة للإبداع الشعري في العصر الحديث[٣٠].

بدر شاكر السياب (١٩٢٦-١٩٦٤)

يُعتبر بدر شاكر السياب، أحد أعمدة حركة الشعر الحر في الأدب العربي الحديث، حيث ترك بصمة لا تُمحى في تطور هذا الشكل الشعري خلال منتصف القرن العشرين. تجربته الشعرية، التي امتدت منذ بداياته الأدبية في الأربعينيات حتى وفاته المبكرة، تمثل نموذجاً فريداً للجمع بين الإبداع الفني والتحدي الثقافي. فقد استطاع السياب أن يتجاوز حدود الشعر العمودي التقليدي، المقيد بالأوزان الخليلية والقوافي الموحدة، ليُدخل أساليب تعبيرية جديدة تعتمد على التفعيلة الحرة والصور الشعرية المبتكرة. هذا التحول لم يكن مجرد تغيير شكلي، بل كان تعبيراً عن رؤية فنية عميقة تهدف إلى استيعاب التحولات الاجتماعية والسياسية التي شهدها العالم العربي في تلك الفترة، بما في ذلك حركات الاستقلال والصراعات الطبقية[٣١].

تميزت قصائد السياب بقدرته الفائقة على توظيف الأساطير والرموز التراثية، سواء من التراث العربي أو العالمي، لخلق بنية شعرية غنية بالدلالات المجازية. هذا النهج، كما يشير الناقد إحسان عباس قوله: مكن السياب من بناء معادل موضوعي لتجاربه الشخصية والجمعية، حيث استطاع أن يحول الأسطورة إلى أداة تعبيرية تعكس الواقع الإنساني بأبعاده المختلفة[٣٢]. على سبيل المثال، نجد في أعماله مثل "أنشودة المطر" استخداماً بارعاً لرموز الطبيعة والمطر كرموز للخصب والأمل، في مقابل اليأس والدمار الذي عاشه المجتمع العراقي في ظل الاضطرابات السياسية[٣٣].

إلى جانب ذلك، برع السياب في المزج بين الهم الذاتي والهم الجمعي، حيث كان قادراً على التعبير عن أحاسيسه الشخصية – مثل الحب، الفقدان، والحنين – بطريقة تتجاوز الفردية لتصبح صوتاً لتجارب شعبه. هذا التكامل بين الأبعاد الذاتية والاجتماعية أضفى على شعره عمقاً إنسانياً نادراً، جعله يتفوق على العديد من معاصريه. كما ساهم في تطوير الصورة الشعرية من خلال إدخال تقنيات درامية، مثل الحوار الداخلي والتنقل بين الأزمنة، مما أكسب قصائده طابعاً مسرحياً متميزاً يعزز التأثير العاطفي والفكري على القارئ.

تُعد قصيدة "هل كان حباً"، التي نُشرت ضمن ديوان "أزهار ذابلة" عام ١٩٤٧، واحدة من أبرز الأعمال التي عكست رؤية السياب الإبداعية وأسهمت في تأسيس الشعر الحر كجنس أدبي مستقل. تبدأ القصيدة بأبيات تعكس تساؤلاً وجودياً عميقاً: "هل تُسمّينَ الذي ألقى هياماً / أَمْ جنوناً بالأماني؟ / أمْ غراماً". هذه السطور الأولى تكشف عن قدرة السياب على صياغة صور شعرية تجمع بين التجريد والإحساس الملموس، حيث يتساءل عن طبيعة العاطفة بطريقة مفتوحة تترك للقارئ مساحة للتأمل. التحرر من القافية التقليدية في هذه القصيدة لم يكن مجرد خيار تقني، بل كان تعبيراً عن رفض القيود الشكلية التي كبّلت الشعر العربي لقرون، مما جعلها تحدياً مباشراً للجمهور الذي اعتاد على الإيقاعات المنتظمة للشعر العمودي.

وفقاً لتحليلات منشورة على موقع "الديوان" (هل كان حباً – بدر شاكر السياب)، تُعتبر "هل كان حباً" من الأعمال الرائدة التي وضعت الأسس النظرية والعملية للشعر الحر في العالم العربي. فقد استطاع السياب من خلالها أن يبرز مرونة التفعيلة الحرة كأداة تعبيرية تتكيف مع تدفق العاطفة والفكر، بعيداً عن الالتزام بعدد محدد من التفعيلات أو انتظام القافية. هذا التحرر سمح له بتقديم تجربة شعرية ديناميكية، تعكس الصراع الداخلي بين الحب والأمل والإحباط، وهي موضوعات كانت تعبر عن حالة جيل بأكمله في ظل التحولات الاجتماعية والسياسية في الأربعينيات[٣٤].

نشر "هل كان حباً" في عام ١٩٤٧ يتزامن مع نشر نازك الملائكة لقصيدتها "الكوليرا" في العام نفسه، مما يشير إلى لحظة تاريخية حاسمة في مسيرة الشعر الحر. هذا التزامن أثار جدلاً بين النقاد حول الريادة الحقيقية لهذا النوع الشعري، حيث يرى البعض أن السياب والملائكة شكلا معاً نقطة البداية لهذه الحركة، بينما يميل آخرون إلى إعطاء الأولوية للملائكة نظراً لانتشار قصيدتها الأوسع في الأوساط الأدبية. ومع ذلك، يبقى إسهام السياب متفرداً بفضل قدرته على دمج الأسطورة والرمز مع التجربة الحديثة، كما يؤكد الناقد شوقي ضيف في كتابه "في الشعر

العربي الحديث" (١٩٦٢)، حيث يشير إلى أن السياب "أعاد صياغة الشعر العربي بأدوات مستمدة من التراث لكنها موظفة بطريقة معاصرة"[٣٥].

من أبرز ما قدمه السياب في "هل كان حباً" هو إدخال التقنيات الدرامية التي تتجلى في التساؤلات المتتالية والإيقاع الداخلي الذي يحاكي الصراع العاطفي. هذه التقنيات أضافت بعداً مسرحياً للقصيدة، حيث يبدو الشاعر وكأنه يحاور ذاته أو قارئه، مما يعزز التفاعل بين النص والمتلقي. كما أن استخدامه للصور الشعرية المركبة، مثل "جنوناً بالأماني"، يعكس قدرته على تعميق الدلالات الشعرية لتصبح تعبيراً عن حالة نفسية ووجودية معقدة. هذا العمق التعبيري جعل من السياب ليس فقط شاعراً مبدعاً، بل أيضاً مفكراً شعرياً أعاد تعريف حدود الشعر العربي في عصره.

بدر شاكر السياب، من خلال تجربته الشعرية وقصيدته "هل كان حباً"، لم يكتفِ بتأسيس الشعر الحر كشكل فني جديد، بل أثرى الأدب العربي بأبعاد رمزية وتقنيات تعبيرية قلّ نظيرها. تجربته تمثل جسراً بين التراث والحداثة، حيث استطاع أن يحول الأساطير والرموز إلى أدوات لفهم الواقع الإنساني المعاصر، مما يجعله أحد أعظم شعراء القرن العشرين.

الإبداع والتحدي في سياق التغيرات

في سياق التغيرات الاجتماعية والسياسية في الخمسينيات والستينيات، مثل الاستقلال والنضال الوطني، كان الشعر الحر وسيلة للتعبير عن هذه التحولات. على سبيل المثال، استخدم السياب في قصائده مثل أنشودة المطر (١٩٦٠) صوراً طبيعية للتعبير عن الأمل واليأس، مما يعكس إبداعاً في ربط الطبيعة بالإنسان. هذا النوع من التعبير كان تحدياً للأساليب التقليدية التي ركزت على المواضيع الكلاسيكية.

جدول مقارنة بين القصائد

القصيدة	الشاعر	تاريخ النشر	الإبداع	التحدي
الكوليرا	نازك الملائكة	١٩٤٧	استخدام الصور الرمزية للألم الإنساني	رفض العروض الخليلي
هل كان حباً	بدر شاكر السياب	١٩٤٧	تعبير عن العاطفة بحرية من القافية	مواجهة النقاد بتحرر الشكل

يبدو أن الشـــعر الحر في الفترة من ١٩٥٠ إلى ١٩٧٠ كان تجربة إبداعية وتحدياً في آن واحد، حيث ســـاهم في تجديد الأدب العربي وأثار جدلاً حول هويته الفنية. نماذج مثل الكوليرا وهل كان حباً تعكس هذا التوازن بين الإبداع والتحدي، مما يجعل هذه الفترة محوراً مهماً في تاريخ الشعر العربي الحديث.

إسهامات مشتركة:

رغم اختلاف تجارب هؤلاء الرواد، إلا أنهم اشتركوا في:

تأسيس قواعد القصيدة الحرة؛ قاموا بوضع أسس وقواعد جديدة للشعر الحر، مما أسهم في تطور هذا النمط الشعري.

تطوير أدوات التعبير الشعري؛ قاموا بتطوير واستخدام أدوات وتقنيات جديدة للتعبير الشعري، مما جعل قصائدهم تتميز بالحداثة والتجديد[٣٦].

ربط التجربة الشعرية بقضايا العصر؛ تناولوا في قصائدهم قضايا العصر وتحدياته، مما جعل شعرهم يعبر عن تجارب الناس وهمومهم.

الاهتمام بالبعد الجمالي والفني للقصـــيدة؛ أولوا اهتمامًا كبيرًا بالجوانب الجمالية والفنية في قصائدهم، مما جعل أعمالهم تحظى بتقدير نقدي وجماهيري كبير[٣٧].

يمكن القول إن هؤلاء الرواد قد أسهموا في تأسيس مدرسة شعرية جديدة استطاعت أن تطور الشعر العربي وتفتح آفاقاً جديدة للتعبير الشعري، مع الحفاظ على أصالة التجربة الشعرية العربية وخصوصيتها

٤. التحديات التي واجهت الشعر الحر

المعارضة التقليدية

واجه الشعر الحر منذ نشأته معارضة قوية من قِبَل الشعراء التقليديين والنقاد المحافظين الذين رأوا في هذا النمط الشعري خروجاً عن قواعد الشعر العربي الأصيل[٣٨]. هذه المعارضة لم تكن مجرد رفض فني، بل كانت تعبيراً عن مخاوف من فقدان الهوية الثقافية والتراث الأدبي العربي. اعتبر العديد من النقاد التقليديين أن الشعر الحر يفتقر إلى الانضباط العروضي والإيقاعي الذي يميز الشعر العمودي، مما دفعهم إلى اعتباره شكلاً أدبياً غير مكتمل أو ناقص[٣٩].

إشكالية الهوية الشعرية

أحد التحديات الرئيسية التي واجهت الشعر الحر هي إشكالية الهوية الشعرية. فقد تعرض هذا النمط الشعري للانتقادات بشأن قدرته على الحفاظ على الهوية العربية الأصلية في ظل الانفتاح على التأثيرات الغربية[٤٠]. التساؤلات حول مدى أصالة الشعر الحر وقدرته على التعبير عن التجربة العربية بأمانة كانت محوراً رئيسياً في النقاشات الأدبية. بعض النقاد رأوا أن الابتعاد عن الأوزان والقوافي التقليدية قد يؤدي إلى فقدان الجوهر الشعري العربي، بينما رأى آخرون أن الشعر الحر يمثل تطوراً طبيعياً يعبر عن متطلبات العصر الحديث[٤١].

تحديات الشكل والمضمون

عانى الشعر الحر من تحديات تتعلق بشكل القصيدة ومضمونها. الحرية التي يمنحها هذا النمط الشعري قد تؤدي أحياناً إلى تشتت القارئ وضياع الوحدة العضوية للقصيدة. البحث عن توازن بين المرونة والانسجام في بناء القصيدة كان وما زال تحدياً كبيراً للشعراء[٤٢]. بالإضافة إلى ذلك، تتطلب القصيدة الحرة قدرة عالية على الابتكار والإبداع في استخدام الصور الشعرية والتعبيرات الفنية، مما قد يكون صعباً بالنسبة لبعض الشعراء الذين اعتادوا على الأشكال التقليدية[٤٣].

يمكن القول إن التحديات التي واجهت الشعر الحر كانت جزءاً لا يتجزأ من عملية تطوره ونضجه. هذه التحديات ساهمت في دفع الشعراء إلى البحث عن طرق جديدة للتعبير والتجريب، مما أدى إلى إثراء الشعر العربي وفتح آفاق جديدة للإبداع.

٥. الإبداع في الشعر الحر

التجديد في الصور الشعرية

يعتبر التجديد في الصور الشعرية من أبرز مظاهر الإبداع في الشعر الحر. حيث يسعى الشعراء إلى استخدام صور شعرية مبتكرة تعبر عن تجاربهم ومشاعرهم بطرق غير تقليدية. يعتمد الشعر الحر على قدرة الشاعر في خلق صور شعرية ديناميكية تلامس الوجدان وتعبر عن المعاني العميقة بطرق جديدة وغير مألوفة. هذا التجديد يتمثل في استخدام الاستعارات والمجازات والرموز التي تضفي على القصيدة بعداً جمالياً وفنياً متميزاً. ساهمت هذه الابتكارات في إثراء اللغة الشعرية العربية وإضافة أبعاد جديدة للتعبير الأدبي[٤٤].

الرمزية والأسطورة

تُعد الرمزية والأسطورة من الأدوات الفنية البارزة في الشعر الحر، حيث يستخدم الشعراء الرموز والأساطير لنقل أفكارهم ومشاعرهم بشكل غير مباشر. هذه العناصر تمنح النص الشعري عمقاً وغنىً، حيث يستطيع القارئ تأويل الرموز والأساطير بطرق متعددة، مما يفتح آفاقاً واسعة للتفاعل مع النص. يعكس استخدام الرموز والأساطير في الشعر الحر تأثر الشعراء بالثقافات الإنسانية المختلفة والرغبة في التعبير عن المعاني الكونية والإنسانية. كما أنها تساعد على بناء نص شعري غني بالدلالات والمعاني المتعددة[٤٥].

التشكيل الموسيقي الجديد

يتميز الشعر الحر بتشكيل موسيقي جديد يعتمد على وحدة التفعيلة بدلاً من وحدة البيت التقليدية. هذا النمط الموسيقي يمنح القصيدة حرية ومرونة في التعبير الإيقاعي، مما يسمح للشاعر بتنويع الأوزان والإيقاعات وفقاً لمتطلبات النص والمشاعر التي يريد إيصالها. التشكيل الموسيقي في الشعر الحر لا يتقيد بنمط معين، بل يتيح للشاعر استكشاف إيقاعات جديدة تتناسب مع طبيعة القصيدة وتضفي عليها نغماً فريداً. يُعد هذا التشكيل الموسيقي من أبرز مظاهر الإبداع في الشعر الحر، حيث يتيح للقصيدة الخروج عن الأطر التقليدية والإبداع بطرق جديدة[٤٦].

٦. خاتمة

نتائج البحث

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج المهمة التي تكشف عن طبيعة التحولات في الشعر العربي المعاصر وأبعادها، وهي:

١. التحول من الشعر العمودي إلى الشعر الحر كان نتيجة تراكم معرفي وفني وتفاعل مع المتغيرات الثقافية والاجتماعية في العالم العربي.

٢. الشعر الحر يعكس خصوصية التجربة السردية العربية من خلال استيعاب التيارات الأدبية العالمية وإعادة صياغتها وفق السياق الثقافي العربي.

٣. التجريب في الشعر الحر لم يكن مجرد محاكاة للنماذج الغربية، بل كان استجابة حقيقية لحاجات تعبيرية وجمالية عربية.

٤. الشعر العربي المعاصر استطاع تطوير أدواته وتقنياته بشكل يجمع بين الأصالة والمعاصرة.

٥. تم دمج عناصر التراث والحداثة في نسيج شعري متماسك يعبر عن الهوية الثقافية للأدب العربي.

٦. الشعر الحر نجح في التعبير عن الواقع الاجتماعي والسياسي بعمق وشمولية.

٧. تأثير الشعر الحر لم يقتصر على الجانب الأدبي فقط، بل امتد ليشمل الجوانب الثقافية والاجتماعية.

٨. الشعر الحر استجاب للتحولات الثقافية والاجتماعية في المجتمع العربي بشكل فعّال.

٩. تطور الشعر الحر أتاح للكتّاب فرصاً جديدة للإبداع والتجريب.

١٠. استخدام الرمزية والأسطورة في الشعر الحر أضاف أبعاداً جديدة للتعبير الشعري.

١١. التشكيل الموسيقي الجديد في الشعر الحر ساهم في خلق أنماط إيقاعية مبتكرة.

التوصيات

بناءً على نتائج البحث، يُوصى بما يلي:

١. دعم الكتّاب لاستكشاف الأساليب السردية الجديدة والمبتكرة لتعزيز التنوع الأدبي.

٢. إدراج الشعر الحر وتقنياته في مناهج التعليم الأدبي لتعريف الطلاب بالأشكال الشعرية المختلفة وتطوير مهاراتهم الإبداعية.

٣. تشجيع ترجمة الأعمال الشعرية الحرة بين الأدب العربي والأدب العالمي لتعزيز التبادل الثقافي والأدبي.

٤. تشجيع البحث الأكاديمي في مجال الشعر الحر لتحليل تجارب الشعراء وتقديم رؤى نقدية جديدة.

٥. استغلال وسائل الإعلام والتكنولوجيا الحديثة لنشر الشعر الحر والوصول إلى جمهور أوسع.

٦. تعزيز الاهتمام بالجوانب الجمالية والفنية في الشعر الحر للحفاظ على جودة الأعمال الأدبية.

٧. تشجيع الكتّاب على تناول القضايا الاجتماعية والسياسية في شعرهم لتعزيز التواصل مع الواقع المعاصر وتقديم رؤى نقدية بناءة.

المصادر والمراجع

١. إسماعيل، عز الدين. الشعر العربي المعاصر. القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠١٥.

٢. أبو ديب، كمال. في البنية الإيقاعية للشـــعر العربي. بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠١٧.
٣. أدونيس. زمن الشعر. بيروت: دار الساقي، ٢٠١٥.
٤. بنيس، محمد. الشـعر العربي الحديث: بنياته وإبدالاتها. الدار البيضـاء: دار توبقال، ٢٠١٨.
٥. جيدة، عبد الحميد. الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر. بيروت: مؤسسة نوفل، ٢٠١٦.
٦. زايد، علي عشري. عن بناء القصيدة العربية الحديثة. القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٧.
٧. ســلطان، عبدالرحمن، أحمد، الدراســات العربية في الاتحاد الســوفياتي. [د. ن.]. دمشق. ١٩٥٩.
٨. عباس، إحسان. اتجاهات الشعر العربي المعاصر. عمان: دار الشروق، ٢٠١٧.
٩. عصفور، جابر. مفهوم الشعر. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥.
١٠. عوض، ريتا. بنية القصيدة العربية المعاصرة. دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠١٦.
١١. عيســى محمد، ثريا. (٢٠٢٣). تكرار لفظة (الموت) في قصــيدة الكوليرا لنازك الملائكة وأثرها في بناء القصــيدة. مجلة جامعة بني وليد للعلوم الإنســانية والتطبيقية، ٨(٥)، ٦٩-٨٢. https://doi.org/10.58916/jhas.v8i5.69
١٢. لؤلؤة، عبد الواحد. الشـــعر الحر في العراق. بغداد: دار الشـــؤون الثقافية العامة، ٢٠١٧.
١٣. مقالح، عبد العزيز. أزمة القصيدة العربية. بيروت: دار الآداب، ٢٠١٦.
١٤. ملائكة، نازك. قضايا الشعر المعاصر. بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠١٦.
١٥. ورقي، الســعيد. لغة الشـــعر العربي الحديث. الإســكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠١٥.
١٦. يافي، نعيم. تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠١٥.

الهوامش

[١] . الملائكة، ٢٠١٦، ص ٢٣

[2] . https://ar.wikipedia.org/wiki/شعر_حر

[3] . https://www.aljazeera.net/blogs/2019/4/14/بدر-شاكر-السياب-الشاعر-الذي-لم-ينصفه

[٤] . لؤلؤة، ٢٠١٧، ص ٤٥

[٥] . عباس، ٢٠١٧، ص ١٢-١٥

[٦] . عصفور، ٢٠١٥، ص ٧٨

[٧] . الملائكة، ٢٠١٦، ص ٣٥

[٨] . اليافي، ٢٠١٥، ص ١١٦

[٩] . لؤلؤة، ٢٠١٧، ص ٥١

[١٠] . عوض، ٢٠١٦، ص ٨٨

[١١] . بنيس، ٢٠١٨، ص ٨٩-٩٢

[١٢] . أبو ديب، ٢٠١٧، ص ١٥٦-١٥٨

[١٣] . أبو ديب، ٢٠١٧، ص ١٥٦-١٥٨

[١٤] . أبو ديب، ٢٠١٧، ص ١٥٦-١٥٨

[١٥] . عوض، ٢٠١٦، ص ٦٧-٧٠

[١٦] . جيدة، ٢٠١٦، ص ٩١

[١٧] . عوض، ٢٠١٦، ص ٦٧-٧٠

[١٨] . زايد، ٢٠١٧، ص ١٨٤

[١٩] . الورقي، ٢٠١٥، ص ٦١

[٢٠] . عباس، ٢٠١٧، ص ١٣٤

[٢١] . إسماعيل، ٢٠١٥، ص ١٨٨

[٢٢] . أبو ديب، ٢٠١٧، ص ١٦١

[٢٣] . بنيس، ٢٠١٨، ص ١١٣

[٢٤] . بنيس، ٢٠١٨، ص ١١٥

[٢٥] . الورقي، ٢٠١٥، ص ٨٩-٩٢

[٢٦] . عصفور، ٢٠١٥، ص ١٧٨

[٢٧] . المقالح، ٢٠١٦، ص ٦٩

[٢٨] . الملائكة، ٢٠١٦، ص ١٤٥-١٥٠

[٢٩] . https://sotor.com/تحليل_قصيدة_الكوليرا_لنازك_الملائكة

[٣٠] . ثريا. ٢٠٢٣، ص ٧٢

[٣١] . عباس، ٢٠١٧، ص ١٦٧-١٧٠

[٣٢] . عباس، ٢٠١٧. ص ١٧١

[٣٣] . عباس، ٢٠١٧، ص ١٧٢

[٣٤] . https://www.aldiwan.net/poem24807.html

[٣٥] . سلطان، ١٩٥٩. ج١، ص ٧٢

[٣٦] . عصفور، ٢٠١٥، ص ٨١

[٣٧] . المقالح، ٢٠١٦، ص ٧٨-٨٠

[٣٨] . عباس، ٢٠١٧، ص ٧٧

[٣٩] . عباس، ٢٠١٧، ص ٢٠٠-٢٠٣

[٤٠] . أدونيس، ٢٠١٥، ص ٩١

[٤١] . الورقي، ٢٠١٥، ص ١١٠-١١٣

[٤٢] . الملائكة، ص ٢٠١٦، ص ١٣٥

[٤٣] . بنيس، ٢٠١٨، ص ١٣٠-١٣٣

[٤٤] . بنيس، ٢٠١٨، ص ١٥٦-١٥٩

[٤٥] . الملائكة، ٢٠١٦، ص ١٣٤-١٣٧

[٤٦] . أبو ديب، ٢٠١٧، ص ١٧٨-١٨١